والبشر فى بست قضاء نهائيا[1] .

٢ – بست ومكانتها الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية :

مكانة بست الاستراتيجية والعسكرية :

كانت القبائل الآرية وملوكها تنظر إلى هذه المنطقة الساحلية نظرة تقدير واحترام كبيرين من الناحيتين الدينية والعسكرية ، ومن هنا كان الملوك والقواد والقبائل الآرية تقوم بتقديم النذور والأضاحى بعد كل انتصار وفتح يتم لها فى هذه المناطق ، وكانت كذلك تقوم فيها بأداء الطقوس الدينية البدائية ، ومن ناحية أخرى كان الملوك والقواد الآريون يتخذون المنطقة كقاعدة عسكرية واستراتيجية لشن هجماتهم على أعدائهم فى المناطق المجاورة لها وإخضاعها لحكمهم ، وقد مرت بنا قصة الملك الآرى ويشتاسپه والأمير الآرى بستوار البلخى ، وما قاما به من الأعمال العسكرية والاستراتيجية فى هذه المنطقة الساحلية الأفغانية .

ومن ناحية أخرى فقد تم فتح بست فى خلافة عثمان بن عفان (رض) بقيادة الربيع بن زياد الحارثى واتخذها بعد ذلك القائد العربى عبد الرحمن بن سمرة وعدد آخر من قواد العرب المسلمين وزعمائهم العسكريين والسياسيين مقرا لهم وقاعدة لشن الحملات على المناطق الأخرى فى أفغانستان وفى البلاد الهندية لنشر الدعوة الإسلامية فى ربوعها ، ومن هذه القاعدة العسكرية انطلق المجاهدون العرب لفتح

---

(١) لمزيد من المعلومات الخاصة بهذا الجزء يراجع :

أفغانستان بعد أز إسلام للأستاذ عبد الحى حبيبى ، تاريخ أفغانستان ولشكركاه للأستاذ أحمد على كهزاد ، ديوان فرخى سيستانى ، تاريخ سيستان لمؤلف مجهول ، أحسن التقاسيم للمقدسى البشارى ، معجم البلدان ، مروج الذهب ، زين الأخبار للگرديزى ، فتوح البلدان ، الطبرى ، ابن الأثير ، تاريخ البيهقى ، إيران فى عهد الساسانيين للأستاذ أرثركريستينسن ، غوريان للأستاذ عتيق الله پجواك ، غزنة وغزنويان للأستاذ غلام جيلانى جلالى ، رياض الألواح – غزنه للأستاذ المرحوم شيخ محمد رضا ، رهنماى أفغانستان للأستاذ فضل أحمد ، آريانا دائرة المعارف ، أفغانستان لجماعة من علماء أفغانستان ، صفاريان للأستاذ مير محمد صديق فرهنگ ، سلطنت غزنويان للأستاذ خليل الله خليلى ، أفغانستان للأستاذ عبد الباقى لطيفى ، يختانه دتاريخ پـه رناكى للأستاذ سيد بهادرشاه كاكاخيل ، پته خزانه للأستاذ محمد داود بن هوتك ، ميروپس للأستاذ عبد الرءوف بينوا ، تاريخ أفغانستان ترجمة الأستاذ منشى أحمد جان ، دپشتو تاريخ للأستاذ المرحوم قاضى عطاء الله خان ، دپشتو أدب تاريخ للأستاذ صديق الله رشتين ، پختو أدب للأستاذ عبد الحليم أثر .

كل من داور وزابل وكابل وغيرها من الأقاليم الأفغانية .

ثم اتخذها صدقة بن عثمان بن عمارة المزنى فى أيام الخليفة هارون الرشيد قاعدة ومركز عمليات استراتيجية وعسكرية قام بها فى الأقاليم والمناطق القريبة منها ، وعلى كل حال كانت مدينة بست الساحلية الهامة مركز قيادة عسكرية واستراتيجية للمسلمين العرب الذين كانوا يحاربون المشركين فى هذه البلاد الجبلية الصعبة وخاصة فى حروبهم وعملياتهم القتالية ضد الرطابلة وغيرهم من ملوك الطوائف فى أفغانستان .

ثم توالت العصور والأمور العسكرية وغير العسكرية على بست ، حتى اتخذها الغزنويون قاعدة ومقر قيادة لهم لتنفيذ مخططهم فى أفغانستان الغربية والجنوبية وفى إيران الشرقية ، وقام السلطان محمود الغزنوى الزابلى ببناء قاعدة بست العسكرية = لشكرى بازار ، ثم قام ابنه السلطان مسعود بتوسيعات وزيادات فى هذه القاعدة العسكرية نظرا لاتساع عملياته وأعماله فى هذه المنطقة من أفغانستان ، وأضاف إليها ثكنات للجيش الذى كان يخوض المعارك فى المناطق المحيطة بها ، وكان كل من السلطان محمود والسلطان مسعود وغيرهما من سلاطين غزنة وأمرائها يقومون بعملياتهم العسكرية والأعمال الإدارية من مقر قيادتهم العسكرية فى بست .

ونظرا لأهمية بست العسكرية والاستراتيجية قام الجيش الغورى بإحراق القاعدة العسكرية فى بست ، وللأهمية نفسها قام الغوريون بإعادة بنائها ثانية بعد أن تم لهم النصر على الغزنويين وللسبب نفسه قام الخوارزمشاهيون ، أو المغول بالعمل نفسه وللأهمية نفسها .

وقد أضاف إلى أهمية بست العسكرية والاستراتيجية وجودها بجوار نهر هلمند الذى يحمى القاعدة من الغرب من ناحية ويمونها بالمياه اللازمة من ناحية أخرى .

ومن مفاخر بست وميوند وسيستان المعارك التى دارت رحاها بين الجيش الأفغانى والجيش الصفوى أولا ، ثم بين الجيش الأفغانى وقوات نادرشاه افشار التى دوخت الهند ثانيا ، وكان مقر قيادة الزعيم الأفغانى مير ويس خان فى المنطقة الأثرية بين بست وصحراء لكان . وقد انتصر الجيش الأفغانى فى المعارك الأولى ، ولم يوفق فى المعارك التى دارت بينه وبين القوات النادرية فوق أرض بست .

مكانة بست السياسية والإدارية :

لقد اتضح فيما مضى من الدراسة والبحث أن مدينة بست كانت العاصمة الثانية لسلاطين غزنة فى أفغانستان ، وبالأخص فى عصر كل من السلطان محمود الغزنوى الزابلى والسلطان مسعود الغزنوى الزابلى ، وذلك لأن بست من الناحية السياسية والإدارية تعتبر مركزا سياسيا وإداريا لعدد من الأقاليم والمناطق الأفغانية الاستراتيجية الهامة مثل الغور = بلاد الجبال ، وسيستان = سجستان ، وهرات ، وفراه ، ومن ثم قام السلطان محمود ببناء قاعدة للقيادة العسكرية بجوار مدينة بست واتخذها مقرا له لإدارة تلك المناطق ، وبالأخص لإدارة سيستان وللدفاع عنها بعد أن تم له فتحها ، وكان يتردد كثيرا على بست ويتخذها مركز إدارة له لتفقد أحوال هذه المناطق الأفغانية .

والأمير مسعود بن محمود الغزنوى الزابلى نشأ نشأته الأولى فى جوار بست بأرض داور (زمينداور) ، وقد عين وهو شاب واليا فى هرات بجوار بست أيضا ، وكان يتردد مع أبيه السلطان محمود على معسكر بست ونهرها هلمند ، فكانت ميوله وهو طفل ، وميوله وهو مراهق ، وميوله وهو شاب متعلقة ومرتبطة ببست وبقاعدتها ومعسكرها ونهرها[1] .

تولى السلطان مسعود الحكم بعد أبيه فى سنة ٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م ، وعندما كان يقيم فى بست – وما أكثر ذلك – كان ينتقل معه من غزنة إلى بست جميع أركان الدولة الغزنوية من الوزارة والإدارة والقيادة ، والسفارة ، وأثناء وجوده فى بست المشتى الجميل ، يصل إليه البريد من جميع الولايات الغزنوية داخل أفغانستان وخارجها يوميا ، وخاصة من ولاية غور = غورات ، وولاية بادغيس = بادغيسات ، وولاية سيستان = سجستان ، وولاية هرات ، وولاية غرجستان ، ومن سائر الولايات الغزنوية الأخرى فى جميع أنحاء الإمبراطورية المترامية الأطراف بين كل من البلاد الأفغانية والهندية والإيرانية الحالية . فتنتعش

---

(١) راجع ص : ٢٣ – ٢٦ من هذا الكتاب ، وسلطنت غزنويان للأستاذ خليل الله خليلى – صفحات مختلفة .

فيها الحياة بجميع جوانبها السياسية والإدارية والأدبية والاقتصادية والاجتماعية . وكانت الدولة الغزنوية فى حاجة إلى مشتى كمشتى مدينة بست من ناحية ، وكان السلطان مسعود بن محمود مهندسا – كما يقولون – من ناحية أخرى ، وكان من الضرورى أن يزداد عدد الدور والمساكن والبساتين من حول مدينة بست وقاعدتها العسكرية أكثر من ذى قبل لزيادة احتياجات الدولة الغزنوية ، لذلك كله قام السلطان المهندس مسعود بن محمود بزيادات وتوسيعات وتحسينات وإصلاحات فى القصر السلطانى والقاعدة العسكرية فى بست ، كما قام بتوسيعات كثيرة أخرى فى معسكر بست التاريخى الشهير ليتسع لشئونه السياسية والإدارية والعسكرية ، ولجيوشه وحاشيته السلطانية ، وكان السلطان مسعود أيام وجوده فى مشتاه ببست يقوم برحلات وجولات للصيد على جانبى نهر هلمند ، كما كان يقوم بزيارات خاصة – أحيانا – تلبية للدعوة التى توجه إليه من طرف أعيان المناطق المجاورة لمدينة بست[1] . وبهذه المناسبة نذكر تلك المدينة التاريخية الشهيرة التى أنجبت الوزير الغزنوى الخواجه أحمد حسن الميوندى (الميمندى) والتى تقع بين قندهار = كندهار وبست وتبعد عن قندهار بحوالى ٤٥ كيلو مترا ، وكانت قصور ميوند = ميمند تنافس قصور بست السلطانية فى بست الساحلية ، تلك القصور الميوندية التى بناها الوزير أحمد حسن الميوندى وزير السلطان الغزنوى الزابلى وابنه السلطان مسعود الغزنوى ، ذلك الوزير الأفغانى القدير الذى أعاد كتابة اللغة العربية إلى الدوائر الرسمية فى المكاتبات الحكومية ، فأعاد إليها بذلك وقارها ورونقها فى أفغانستان بعد أن كانت قد ألغيت بالأمر السلطانى الذى استصدره وزيره السابق الأسفرايينى . وفى إحدى رحلات مسعود وزياراته أثناء إقامته فى بست ، دعاه عبد الرزاق بن أحمد حسن الميوندى لزيارة مدينة ميوند = ميمند وقد نزل السلطان مسعود وحاشيته بالقصور التى بناها الوزير أحمد حسن على طراز القصور السلطانية[2] .

والحديث عن بست وعن مدينة ميوند يذكرنى بل يشوقنى إلى أن أشير إشارة

---

(١) لشكرگاه : صفحات مختلفة ، وسلطنت غزنويان : صفحات مختلفة .

(٢) ديوان الشاعر الأفغانى أبى الحسن على بن جولوغ الفرخى : صفحات مختلفة .

عابرة إلى المعركة الرائعة التى وقعت فى ميوند بين قوات التحرير الأفغانية وبين القوات الإنجليزية ، وقد استطاعت القوات الأفغانية أن تلحق الهزيمة المنكرة بالقوات الإنجليزية الغازية المسلحة بالسلاح الحديث . وقصة معركة ميوند الشهيرة التى يتغنى الشعراء الأفغان بانتصاراتها الرائعة تبدأ بأن قائد القوات البريطانية فى قندهار قد تلقى أخبارا عن تحرك قوة أفغانية من هرات صوب قندهار لملاقاة العدو الإنجليزى هناك ، فأرسل قوة بريطانية لصد زحف القوة الأفغانية نحو قندهار ، فالتقت القوتان الأفغانية والبريطانية فى ساحة ميوند الشهيرة ، واشتبكتا فى معركة كانت الهزيمة الساحقة فيها من نصيب البريطانيين ، فسقط عدد كبير من القوات البريطانية المعتدية قتلى فى ساحة القتال والنضال والوغى ، وهرب من نجا منهم إلى قندهار تاركين وراءهم القتلى والجرحى فى ميدان القتال وساحة الحرب والنضال ، وبذلك تلقى الإنجليز درسا قاسيا على أيدى الأفغان ، وكان ذلك فى ٢٧ يوليو سنة ١٨٨٠ م . وقد أقام الأفغان نصبا تذكاريا بمناسبة انتصارهم على الإنجليز فى بستان يطل على مقبرة الشهداء الأفغان ، وقبور قتلى الإنجليز[1] . وفى معركة ميوند معان كثيرة تغنى بها الشعراء الأفغان تخليدا لذكراها العطرة وإيقاظا للشعور الوطنى فى النفوس .. يقول شاعر أفغانى على لسان حسناء تخاطب حبيبها قائلا :

كه پـه ميوند كى شهيد نه شوى	زما لا ليه پى ننگئ ته دى ساتينه
إن لم تستشهد فى معركة ميوند	يا حبيبى ، فإنهم يربونك لجلب العار

هكذا ارتبطت الأحوال السياسية والإدارية والحربية والاجتماعية بين كل من بست وميوند من ناحية وبين غزنة وبست وميوند من ناحية أخرى ، وهذه المراكز الثلاثة التى تقع على خط واحد يربط بينها وبين سيستان ، هذه المراكز السياسية قد لعبت دورا سياسيا وعسكريا هاما فى هذه الفترة من التاريخ الأفغانى ، وفى الفترات التى تلتها ، ولا يجب أن ننسى فى هذا المجال العامل الاقتصادى ، وأهميته الاقتصادية فى بست .

---

(١) بين آمودريا وجمنا – للأستاذ أرنولد توينبى – الترجمة العربية – صفحات مختلفة .

(٢) لندئ – للأستاذ عبد الرءوف بينوا – صفحات مختلفة – وص : ٧ من هذا الكتاب .

مكانة بست الاقتصادية والتجارية :

إن مدينة بست قد لعبت دورا هاما فى الاقتصاد والتجارة بين بلاد الهند وبلاد الفرس عن طريق أفغانستان ، ومما يجدر الإشارة إليه فى هذا الصدد أن أهم الطرق الرئيسية البرية للتجارة العالمية بين الشرق والغرب – أى بين السند والهند والصين من ناحية ، وبين البلاد الغربية من ناحية أخرى – كانت تمر بأفغانستان على الترتيب التالى .. فالطريق الأول كان يبدأ من الصين ويتخذ مساره إلى پامير الأفغانية حتى يصل إلى مدينة بلخ فى شمال أفغانستان ، ومنها إلى ما وراء النهر وإلى البلاد الفارسية القديمة . والطريق الثانى .. كان يبدأ من الهند والسند مارا على پشاور ، وبعد عبور ممر خيبر وننگرهار يصل إلى مدينة كابل العاصمة الأفغانية الحديثة ، ومنها يتجه إلى البلاد الغربية ، إما عن طريق هرات غربا ، أو عن طريق بلخ شمالا . والطريق الثالث .. كان يبدأ من الهند والسند مارا على كويته ، وسپين بولدك ، وقندهار وبست وزرنج ، ومنها يتجه غربا إلى البلاد الفارسية ، ثم إلى العالم الغربى القديم[1] .

فبست كانت مركزا اقتصاديا وتجاريا تصل إليها البضائع الهندية عن طريق السند وقندهار وأرغنداو ، ومنها تصل إلى مدينة زرنج عاصمة سيستان الأفغانية إما عن طريق البر بالقوافل ، وإما عن طريق نهر هلمند ، ومن عاصمة سيستان زرنج تصل إلى هامون سيستان .. ثم إلى بلاد الفرس . ففى العصر الصفارى والغزنوى والغورى كانت السفن التجارية تبحر بالبضائع من مدينة گرشك الساحلية ، لتصل إلى مرسى بست ، ومن بست إلى زرنج ومنها إلى هامون . ومن هنا نستطيع القول بأن المدينتين الأفغانيتين التاريخيتين .. بست فى الساحل الشرقى من نهر هلمند ، وزرنج فى الناحية الغربية منه كانتا مركزين تجاريين فى القرون الوسطى من التاريخ الأفغانى القديم ، فمدينة بست كما قلت ، كانت مركزا اقتصاديا وتجاريا للبضائع الآتية من البلاد الهندية عن طريق السند ،

---

(١) تاريخ أفغانستان للأستاذين أحمد على كهزاد ومحمد عثمان صدقى – صفحات مختلفة والأدب العربى فى أفغانستان – رسالة الدكتوراه للدكتور محمد أمان خان صافى .

وبلوچستان، وقندهار . وبالعكس من ذلك كانت مدينة زرنج العاصمة السيستانية مركزا اقتصاديا وتجاريا للبضائع الآتية إليها من إيران ، وعبر أراضيها ، وكان كل واحد من المركزين الاقتصاديين التجاريين الأفغانيين يتبادلان البضائع المحلية ، والأمتعة التجارية الواردة إليهما عن طريق نهر هلمند .. نيل أفغانستان كما يقولون[1] .

٣ – بست ومكانتها العلمية والحضارية والثقافية :

مكانة بست العلمية :

قلنا فيما سبق بأن بست مدينة ساحلية تقع على الشاطئ الشرقي من نهر هلمند، ومن ورائها تمتد صحراء لكان الواسعة الشاسعة، وهي في الوقت الحاضر حاضرة لولاية هلمند . ومدينة بست هذه كانت مركزا علميا وحضاريا على مر العصور ، وخاصة في العصور الإسلامية المختلفة ، وبالأخص في العصر الغزنوي والغوري حيث كانت مأوى للعلماء والأدباء والشعراء الذين كانوا يؤلفون وينشدون من روائع الشعر باللغات العربية والپشتونية والدرية ، وهذه المدينة من أقدم المدن الأفغانية في هذه المنطقة ، وأعرقها علما وحضارة وأدبا ، ومن هنا نرى المقدسي البشاري يفضل لغة أهل بست على لغة أهل سيستان ، وذلك أثناء حديثه عن لغات هذه المنطقة ، وهذا دليل قاطع على النضج الفكري واللغوي والعلمي والأدبي لأهل بست ، والدليل الحي على ذلك الخطابي البستي في الدراسات القرآنية وابن حبان البستي في علوم الحديث النبوي الشريف ، وأبو الفتح البستي في الشاعرية والكتابة .

قلنا فيما سبق أيضا بأن عبد الرحمن بن سمرة عين واليا على سيستان في سنة ٣٦ هـ = ٦٥٦ م ، وقد توجه عبد الرحمن بن سمرة الذي كان خبيرا سياسيا وحربيا في شئون هذه المنطقة من أفغانستان ، توجه مع عدد كبير من العلماء والقواد العرب ، من بينهم القائد العربي عباد بن الحصين ، والعالم الإسلامي

---

(١) أفغانستان بين الأمس واليوم للأستاذ أبو العين – صفحات مختلفة – ولشكرگاه – للأستاذ أحمد علي كهزاد – صفحات مختلفة .